

❦ الاحسان في الاحسان ❦

(لخزرة الأصولي النبيه حامد أفندي خلوصي بالاستئناف)

مما اشتغلت به العقول في الشرق من مبتكرات الغرب ومخترعاته العالوم
والفنون التي يحصل منها الانسان على راحته وأمنه في حله وترحاله ومواصلاته
ومعاملاته فدفقت البحث في ذلك وعلقت عليها الشروح الطوال

ولقد كان الشرقيون يبارون أهل الغرب في ذلك ظنا منهم ان الكمال ليس
الا راحة الانسان وهي تتوقف على استخدام بعض العلوم العائدة بالقوائد
على مستعملها وان هي لم تنفع مهيئها كعلم الطبيعة مثلا وما شاك من العلوم
فان طول البحث فيه أدى الى استخدام قوة البخار والكهرباء ولا شك انها
أفادت وتفيد كل من يستخدمها وان أهملها الا كثرون وقد صرفت العقول
اهتمامها عن العلوم التي لا تدرك نتائجها حتى يتداولها جميع الافراد كالعلوم
الأخلاقية مثلا اذ بها يعرف القبيح والحسن وكيف يجتنب الأول ويتبع
الثاني كالأحسان والامانة والصدق فان نتائج هذا العلم لا تعود بنفع ما الا اذا
تداولها الجميع فاذا توحد شخص مثلا بالصدق في أمة لا تعرف الا المين لم ينفعه
صدقه بل ربما جلب له الضرر

على ان معرفة هذه العلوم واتباعها من أنفع المنافع للأمم اذ بها دون
سواها تتوثق الروابط وعليها وحدها تتوقف الصلوات المتبادلة بينهم
وموضوعنا الآن انما هو الكلام بطريق الاجمال على الاحسان
الذي هو من أعظم الاخلاق وأرفعها وله اليوم محل عظيم بين العلوم
الاجتماعية فنقول

خير احسان تلذ به النفس ويرتاح له الضمير هو ما أغنى السائل الذي

طوحته يد الزمن العسراء وأداه نحس ميلاده الى الوقوف أمام بنى جنسه
باسطايذ الضراعة، مذلا النفس وهي مجبولة على الكبر والأنفة يطلب منهم صدقة
وما يغنيه في الحقيقة الا معاوته وارشاده الي سبيل يخرج منه عضواً عاملاً
في قومه بعد أن كان عالة وحملأ ثقيلاً عليهم

وما منع الناس الي الآن عن الذهاب في جميل هذا المذهب من الاحسان
الا طبيعتهم التي جبلت على السرعة والمثل وطلب النتيجة قبل الشروع في
العمل فان رؤية الفقير المحتاج تحرك في الانسان عاطفة الخنو والرأفة فيبادر
الي عمل البر فيرجع في ذلك بطبيعته فيتصدق بصورة هي على حسب فكرته
ومؤثراتها القريبة السهلة المستمرة فيسيء من حيث يحسن ويميت من حيث
يريد أن يحيي

يقطب المحسن جبينه ويوارى وجهه حزناً وأسفا حينما يري الفقير الذي
آثره على نفسه وبذله من ماله ما قد يكون في حاجة اليه ينفق ذلك المال
المعطى للخير والانسانية ومحاربة العيلة وشد العوز في أنكر سبيل تقشعر
الابدان لمجرد مرور اسمه على الآذان أو خطوره في الاذهان
أو عند ما يرى أن هذا للسائل الطاوي حياته القائمة على الفقر والشدة
قد حصل عنده ما يخفف الحال ويكفي هو ان السؤال فأنفقه في تناول كأس من
خمر هي لدناءتها تزيد في حرج أمره وارتباكها

أو اذا علم ان هذا المسكين يعمل عملاً هو في الحقيقة أعظم وقراً على
النفس من أي ألم حسي أو معنوي يصيبها لولا ان الاضطراب والمادة يخففان
من وطأته عليها ومع ذلك فهو يفقد كل ثمرة منه في أنواع المتكرات والسموم
المهلكات كالخشيشة والافيون والمقامرة وما شا كل ذلك من أبواب الفساد

على ان الكثيرين منهم بريئون فلا ينفقون قليلا ما يصل اليهم الا في شد
 الاود واستدفاع الحاجة ولكن لتمذر التفريق بين الفريقين أخذ البري بذب
 الاثيم وابتدأ الاحسان يقل والمحسنون يتقصون وهذه مصيبة عظي على بني
 الانسان المدني بالطبع المنتقرا الي التعاون

فلا احسان ضروري وأهل المشرق في مقدمة الامم براوكرما واعامة
 للفقراء . وليس هذا بالامر المكتسب بل هو عاطفة غريزية فيهم غنية عن
 العواطف المثيرة ولكن يشينها . وكل بأسف على ذلك . استمرار ظهورها على أبسط
 الوجوه وأهون الوسائل وذلك بأن يضع المحسن يده في يد الفقير فيودع فيها
 شيأ من النقود

نعم ان هناك أعمالا في البر أشرف وأرفع قد جري عليها الناس عندنا
 من قديم مثل بناء الحياض واقامة النكايا الا أن هذه الاماكن لم تستوف
 بعد صفات المحلات الخيرية فهي منافية في غالب الاحيان لقوانين الصحة
 ومقصورة على فئة من الناس هم أشد حاجة الي الحركة والعمل منهم الى
 البطالة والكسل

ومع اننا معشر الشرقيين قد بدأنا والحمد لله نتشبه بالتربيين في كل ما يأتون
 فلم نفلح في اقتفاء أثرهم لترقية هذه الوسائط وتحسينها بل وقفنا عند حد
 حفظنا معه حظ الايجي بحرك شفقيه يقلد الرجل القاريء الكاتب

وهذه هي الجمعية الخيرية الاسلامية قد أسست فلم يقبل عليها الا النزر القليل
 وقلت ايراداتها عما يجب على ان نظارها من الجمعيات الخيرية الاوربية كشيرة
 الاعضاء وافرة الايراد تؤدي الخدم الجليلة للانسانية لم يقنصر عمها على الاسداء
 الي العاجزين ومد يد المساعدة للعائلات التي تعيش تحت رحمتها بحيث لو

غضت الطرف عنهم لوقعوا في مهواة الفقر المدقع بل تتلانى السالئين بها
أدياً كما تداركهم برعايتها ماديا فهي تستميلهم الى الشغل والشاربة على العمل
كما تبعدهم ما أمكن عن طريق البطالة والسكسل
وكيفية ذلك ان تستعلم الجمعية بطرق سنتها عن القانطين من الصناع
والتجار وغيرهم فقتشترى من بضاعة هؤلاء لتطم وتكسو منها عائلات
الآخرين في مقابل عمل تؤديه كتنصيل وخطاطة أمشة تفرق بعد صنعها على
أرباب العاهات الموجودين في مأوي مخصوص أعدته لهم الجمعية ليسكنوا
فيه وليؤدوا به عملا ما

هذا وقد شوهد ان غالب المنقطعين لتلك الجمعيات استغنوا عنها
وتركوها طلبا للكسب بعد أن تعودوا على العمل المجهود لهم فصاروا بذلك
أعضاء عاملين في الامة بعد ان كانوا أثقلا عليها
فلو امتنع الذين ينفقون أموالهم على المتسولين في الطرقات عن احسانهم
المنقطع ووكلوا الى الجمعية الخيرية هذا الامر باعطائها دفعة واحدة أقل من
القدر المبذول لامكانها القيام بما يجب عليها من حيز هؤلاء المتسولين عندها
على يد الهيئة الحاكمة التي لا تأخر عن مساعدتها في ذلك ولا تسمع نطاتها حتى
تبارى الجمعيات الخيرية الاوربية ثم هم بذلك يكفون أنفسهم مؤونة الخج
السائل وتكديره صفو راحتهم في محلات ارتياحهم بهيئة التي يتصور فيها
امامهم بأفطع ما يمكن من الاشكال المحزنة المسكرة

